مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (3) العدد(10) الجزء الثاني– يونيو 2024م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812–145 x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812– 5428
الموقع الإلكتروني: https://jlais.jourals.ekb.eng

# أسلوب الخطاب النبوي مع المنافقين

**أ.عبدالرحيم أبو طاهر سعيد**
باحث دكتوراه تخصص (العقيدة والدعوة) بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الملك عبدالعزيز – المملكة العربية السعودية

**Journal of Arabic Language and Islamic Science** Vol **(3)** Issue **(10) second part- June 2024**
**Printed ISSN:2812-541x** **On Line ISSN:2812-5428**
**Website:** https://jlais.journals.ekb.eg/

# أسلوب الخطاب النبوي مع المنافقين

**أ.عبدالرحيم أبو طاهر سعيد**

باحث دكتوراه تخصص (العقيدة والدعوة) بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك عبدالعزيز – المملكة العربية السعودية

**الملخص :**

يدور هذا البحث حول المنافقين كأحد نماذج المخالفين الذين حاورهم النبي-ﷺ- ودعاهم إلى الإيمان بالله -عز وجل- ، وقد ظهر النفاق أول ما ظهر في المدينة لما هاجر النبي-ﷺ- إليها، فنبدأ -أولًا- بالتعريف بالنفاق والمنافقين بتعريف النفاق لغة: ثم تعريف النفاق اصطلاحًا، ثم عرج البحث الى بيان الاساليب التي استخدمهم النبي في محاوراتهم فلقد استخدم النبي-ﷺ-مجموعةً منَ الأساليب في خطابه وحواره مع المنافقين، ومن هذه الأساليب ما يلي:

(أ)- أسلوب الحزم والشدة.

(ب)- أسلوب الرفق بالمنافقين.

(ج)- أسلوب التحذير من خطورة النفاق.

(د)- أسلوب الدعوة بالتي هي أحسن.

وأخيرا تعرض لآثار المنهج النبوي في الحوار مع المنافقين ونتائجه .

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدﷺ- المخصوص بجوامع الكلم، ومجامع الحكم، سيد الأولين والآخرين، وخاتم النبيين والمرسلين، ورحمة الله تعالى للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:

من المخالفين الذين حاورهم النبي-ﷺ- ودعاهم إلى الإيمان بالله -عز وجل- وترك الشرك المنافقون، وقد ظهر النفاق أول ما ظهر في المدينة لما هاجر النبي-ﷺ- إليها، فنبدأ -أولًا- بالتعريف بالنفاق والمنافقين، كالتالي:

**تعريف النفاق لغة:**

النفاق مصدر من الفعل نافق، والألف زائدة، و(نفق) النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه، ومتى حصل الكلام فيهما تقاربا[1].

**فالمعنى الأول:** مثل قولك: نفقت الدابة نفوقًا، أي: ماتت، ونفق السعر ينفق نفاقًا، إذا كثر مشتروه، وذلك أنه يمضي فلا يكسد ولا يقف، وأنفقوا: نفقت سوقهم؛ والنفقة؛ لأنها تمضي لوجهها، ونفق الشيء: فني يقال قد نفقت نفقة القوم، وأنفق الرجل: افتقر، أي ذهب ما عنده[2].

**والمعنى الثاني:** النافقاء والنفقة، كهمزة: إحدى جحرة اليربوع، يكتمها ويظهر غيرها، فإذا أتي من جهة القاصعاء، ضرب النافقاء برأسه فانتفق، ونفق وانتفق: خرج من نافقائه[3].

ونقل الصاغاني عن ابن الأنباري في الاعتلال لتسمية المنافق منافقًا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه نافق كاليربوع، فشبه به لأنه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل فيه.

والثاني: أنه سمي به؛ لأنه يستر كفره ويغيبه، فشبه بالذي يدخل النفق، وهو السرب، يستتر فيه.

والثالث: أنه سمي به؛ لأنه يظهر غير ما يضمر، تشبيها باليربوع، فكذلك المنافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وقد حمل حديث: (أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها)، على هذا، فقد أراد بالنفاق هنا الرياء؛ لأن كلاهما إظهار غير ما في الباطن، والنفاق أيضا: جمع نفقة محركة، كثمرة وثمار[4].

**تعريف النفاق اصطلاحًا:**

و(النفاق) في الشرع، كما عرفه ابن كثير –رحمه الله– بقوله: "النفاق: هو إظهار الخير، وإسرار الشرّ، وهو أنواع: اعتقاديٌّ، وهو الذي يخلّد صاحبه في النار، وعمليٌّ وهو أكبر من الذنوب، قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسرّه علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه"[5]. والنفاق نوعان: أكبر يُخرج من الملّة، وأصغر لا يُخرج من الملّة[6].

لقد استخدم النبي–ﷺ–مجموعةً منَ الأساليب في خطابه وحواره مع المنافقين، من هذه الأساليب ما يلي:

**(أ)– أسلوب الحزم والشدة:**

من الأساليب التي استخدمها النبي–ﷺ– في حواره مع المنافقين أسلوب الحزم والشدة، في المواضع التي يتطلب فيها هذا الأسلوب، ومثال ذلك ما رُوي عن أبي هريرة–رضي الله عنه– قال: (ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم، ثم آمر رجلًا يؤم الناس، ثم آخذ شعلًا من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد)[7].

**وجه الدلالة:**

أنه يحتمل أنه–ﷺ– أخبر المؤمنين أن من شأن المنافقين ثقل هاتين الصلاتين عليهم في الجماعة، فحذر المؤمنين من التشبه بهم في ذلك وامتثال طريقتهم، ووجه ثقل هاتين الصلاتين عليهم فعلهما في وقت الراحة[8].

ويقول العلامة الزمخشري رحمه الله: "والمعنى: أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجدّ والمتانة فيه، ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده،

وكفى برسول الله-ﷺ- أسوة في ذلك حيث قال: لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها"[9].

فهو-ﷺ- إذا كان يتعرض لشيء يهين دينه فهو لله تعالى، فإنما يمتثل فيه أمر الله تعالى من الشدة، كما قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[سورة التحريم: 9]، فالله-ﷻ- يأمر نبيه-ﷺ- في هذه الآية بجهاد الكفار والمنافقين، والإغلاظ عليهم في ذلك، وهذا شامل لجهادهم، بإقامة الحجة عليهم ودعوتهم بالموعظة الحسنة، وإبطال ما هم عليه من أنواع الضلال، وجهادهم بالسلاح والقتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله وينقاد لحكمه، فإن هذا يجاهد ويغلظ له، وأما المرتبة الأولى، فتكون بالتي هي أحسن، فالكفار والمنافقون لهم عذاب في الدنيا، بتسليط الله لرسوله وحزبه عليهم وعلى جهادهم وقتالهم، وعذاب النار في الآخرة وبئس المصير، الذي يصير إليها كل شقي خاسر[10].

وقد وقع أنه-ﷺ- غضب لأسباب مختلفة، مرجعها إلى أن ذلك في أمر الله تعالى، وأظهر الغضب فيها؛ ليكون أوكد في الزّجر، فصبره وعفوه، إنما كان يتعلق بنفسه الشريفة-ﷺ[11].

فالنبي-ﷺ- في بعض المواضع أو المواقف يحْتَاج إلى الحزم، وذلك في حالات خاصة، ومع أناس مخصوصين، وفي حق من يستحق ذلك؛ فإذا كان المحاور ذا مكانة، وكان المقام يقتضي الحزم، ولم يترتب على ذلك مفسدة أكبر-أُخِذ بهذا الأسلوب.

ولقد بوب البخاري في كتاب الأدب من صحيحه بابًا سماه: باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، ثم ساق تحته خمسة أحاديث[12].

وخلاصة القول: إنَّ الرفق هو الأصل، وهو الأليق بحال المحاور ما لم تدع الحاجة إلى الحزم، وأنَّ الحزم قد لا يلائم كل أحد، خصوصًا ممن ليس له قَدْرُ سنٍّ، أو علم، أو منزلة، أو قبول عند الناس.

ولعل السبب في تنويع النبي-ﷺ- أنه كان يراعي أحوال المحاورين من حيث الشدة والرفق؛ فهو يستعمل الرفق في الأصل، ومع الجاهلين، أو الصغار، أو حديثي العهد بالإسلام، أو في غير ذلك من الأحوال والمصالح التي يحسن فيها الرفق.

ويستخدم الشدة -أحياناً- مع من صدر منهم ما لا يليق بهم ذلك؛ لطول صحبتهم، أو لعلمهم، وورعهم، وتقواهم(13).

كما كان يستعمل الشدة مع المعاندين والمتكبرين، والمستهزئين، والمستخفين بالدعوة؛ فاستعمال الرفق في موضعه حكمة، كما أن استعمال الشدة في مكانها حكمة.

ولقد زاد استخدام النبي-ﷺ- لأسلوب الحزم والشدة مع المنافقين؛ وذلك لما رأى من تزايد أعدادهم واستفحال أمرهم، فمنذ هذا اليوم بدأ النبي-ﷺ- يشتدُّ في معاملة المنافقين شدّة لم يألفوها من قبل، ذلك أن عدد المسلمين زاد زيادة تجعل عبث المنافقين بهم خطرًا يخشى منه ويجب تلافيه وعلاجه، ولم يقم بنفس محمد ريب، بعد أن وعده ربّه لينصرنّ دينه وليعلينّ كلمته في أنهم سيزدادون من بعد أضعاف زيادتهم اليوم، وعند ذلك يصبح المنافقون خطرًا عظيمًا، ولقد كان له من قبل، حين كان الإسلام محصورًا بالمدينة وما حولها أن يشرف بنفسه على ما يجري بين المسلمين، أمَّا وقد انتشر الدين في أنحاء بلاد العرب جميعًا، وها هو ذا يشارف الانتقال منها فكلُّ تهاون مع المنافقين شرٌّ تخشى مغبته، وخطر ما أسرع ما يستشري إذا لم تجتثّ جرثومته، ولقد بنى المنافقون في "ذي أوان" بجوار المدينة مسجدًا يتآمرون فيه، بعدما كانوا يجلسون في الخلاء ويراهم المسلمون، ويطلعون على مكرهم، وخبثهم، وهذا المسجد هو الذي عرف بمسجد الضرار، وقد دعوا الرسول -ﷺ- للصلاة فيه، فوعدهم بالصلاة معهم فيه حين رجوعه من الغزوة، وأثناء عودته من تبوك نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[سورة التوبة: 107-198].

لقد كان المسجد ستارًا للمنافقين عن أعين المسلمين، لكن عين الله لا تنام، ولذلك أمر النبي-ﷺ- بهدم المسجد، وحرقه، بعدما أمره الله تعالى بعدم الصلاة فيه، وبين له أن سبب تأسيسه هو الإضرار بالمسلمين والكفر بما أنزل الله، وتفريق المسلمين وإيواء أعداء الله ورسوله[14].

فضرب النبي-ﷺ- بذلك مثلا ارتعدت له فرائض المنافقين، فخافوا وانزووا، ولم يبق لهم من يحميهم إلا عبد الله بن أبي شيخهم وقائدهم.

على أن عبد الله لم يعمّر بعد تبوك غير شهرين مرض إثرهما ومات، ومع أن الحقد على المسلمين قد كان يأكل قلبه منذ نزل النبيّ المدينة؛ فقد آثر محمد ألا ينال المسلمون ابن أبيّ بسوء، ولم يلبث النبيّ-ﷺ- حين دعي للصلاة عليه لمّا مات أن صلى، وقام على قبره إلى أن دفن وفرغ منه، وبموته انهار ركن المنافقين، وآثر من بقي منهم أن يخلص لله توبته[15].

**(ب)- أسلوب الرفق بالمنافقين:**

ومن الأساليب التي استخدمها النبي-ﷺ- في حواره مع المنافقين أسلوب الرفق بهم وملاطفتهم والتودد لهم، ولقد كان-ﷺ- يدارىء الكفّار والمنافقين ويدافع عنهم ويلاطفهم، وقد ورد (رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس)[16]، وزاد البيهقي عن أبي هريرة-رضي الله عنه- في رواية، وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة، وفي رواية له عنه رأس العقل والمداراة، ويجمل صحبتهم من أجمل أي: يحسن أو من أجمل جمع بعد تفرقة، وفي رواية من حَمَل أي: يتحمل كلفة صحبتهم ويغضي عنهم أي: يغمض عينه عن عيبهم، أي يخفي عليهم ذنبهم (ويحتمل من أذاهم) من تبعيضية أو زائدة ويدل عليه أنه ويحتمل إذا هم أي يتحمل على أذاهم، (ويصبر على جفائهم)[17]، وهذا كله لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾﴿سورة الأحزاب: 47-48﴾ أي: في كل أمر

يصد عن سبيل الله، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم، بل لا تطعهم ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ فإن ذلك، جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من أذيتهم له، ولأهله[18].

والحاصل أنه كان يجوز له (مَا لَا يَجُوزُ لَنَا الْيَوْمَ الصَّبْرُ لَهُمْ) أي: للمنافقين ونحوهم أي: على ما صدر من فعلهم وقولهم؛ لأنا مأمورون بزجرهم على كفرهم، وبعدم إكرامهم في مرامهم، وكان -ﷺ- يرفقهم، وهو من الرفق ضد العنف وهو لين الجانب، واللطف بهم، وبالعطاء لهم والإحسان إليهم تفاديًا من نفرتهم عن حضرته، وامتناعهم عن قبول ملته وَبِذَلِكَ أَمَرَهُ اللَّهُ تعالى، فَقَالَ تعالى: ﴿وَلا تَزالُ﴾ أي: دائمًا ﴿تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي: على خيانة، فاعلة، وقيل: على فرقة خائنة، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: على خائنة، أي: على معصية، وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله -ﷺ- وهمهم بقتله وسمه، ونحوهما من خياناتهم التي ظهرت منهم[19] ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، وهو من آمن منهم أو كان مقتصدًا فيهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ أي: وأعرض عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة المائدة: 13]، معهم ومع غيرهم تخلقا بأخلاق الله فيهم، حيث يرزقهم ويعافيهم، فقيل: هذا قبل أمره بقتالهم وقيل: اعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم، وقال الله تعالى: ﴿ادفع﴾ أي السيئة التي وردت عليك منهم بالحسد والعداوة ﴿بِالَّتِي﴾ أي: بالحسنة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ من أختها، وهي العقوبة والمكافأة بمثلها والمجازاة بنحوها، أو بأن تحسن إليه بإساءته إليك ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ﴾ أي: بسبب مدافعة السيئة بالحسنة ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ﴾ نصير لك مائل إليك ﴿حَمِيمٌ﴾[سورة فصلت: 34]، قريب مشفق عليك، وذلك أي: ما أمره الله به من المداراة وعدم المجازاة لحاجة النّاس أي: همومهم للتّألّف، أي طلب الألفة وعدم النفرة أوّل الإسلام في أوائل الهجرة إلى مدينة السلام وجمع الكلمة عليه أي: ولاجتماع كلمة الأمة لديه فلمّا استقرّ أمره وثبت حكمه وعلا قدره وأعلى نوره ﴿وأظهره الله على الدّين﴾ أي: أنواعه ﴿كلّه﴾ أي: جميعه حسب ما وعده له بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (قَتَلَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ) ممن عاداه (واشتهر أمره) فيمن باداه[20].

**(ج)- أسلوب التحذير من خطورة النفاق:**

ومن الأساليب التي استخدمها النبي-ﷺ- في حواره مع المنافقين أسلوب التحذير من خطورة نفاقهم، ومن مكرهم وكيدهم وعدائهم للمؤمنين، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ* وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة التوبة: 120-121].

إن هذه الآية تفضح الأعراب الذين أحسنوا فن التخلف والقعود عن الجهاد، ليتم تذكير المؤمنين وتحذيرهم من خطورة نفاقهم وعاقبة تخلفهم عن الجهاد، بل وخطورة أن يؤثر المرء نفسه عن دين الله تعالى، وعن رسوله-ﷺ-، في كل زمان ومكان، كما أن هذه الآية تستوجب الجهاد على عموم القادرين من المسلمين عليه[21]؛ لذا كان الحض الخفي للمؤمنين على الجهاد بهذا النهي: ﴿مَا كَانَ﴾، لهم أن يرغبوا بأنفسهم عن نفس رسول الله-ﷺ- يقول الزمخشري: "التي هي أعز نفسٍ عند الله وأكرمها عليه؛ فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول، وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له، فضلًا أن يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه"[22]، مما يستوجب نصرة رسول الله-ﷺ- اليوم دفاعًا عن دينه والذود عنه بكل ما يستطيع المرء من قوة، فكل طاعة في سبيل لها أجر عظيم، يقول الرازي: "من قصد طاعة الله، كان قيامه وقعوده ومشيته وحركته وسكونه، مكتوبة عند الله تعالى"[23]، فكان لكل ظمأ أو نصب، أو مخمصة أجر، نتيجة اقتحام المجاهدين لأوكار المجرمين، وأماكن تجمعاتهم، لإحداث الهزيمة، أو النكاية فيهم، فكيف إذا فعلوا ذلك وأنفقوا؟ وكيف إذا قطعوا الأودية ليفكوا الحصار عن أنفسهم لينالوا من عدوهم نيلًا ومغنما بقتيل أو أسير؛ لتحرير ديارهم

من أشد الناس عداوة للذين آمنوا، فلكم الله يا أهل بيت المقدس في جهادكم وصبركم، وأنزل عليكم سكينته ونصره[24].

**(د)- أسلوب الدعوة بالتي هي أحسن:**

ومن الأساليب التي استخدمها النبي-ﷺ- في حواره مع المنافقين أسلوب الدعوة بالتي هي أحسن، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ﴾[سورة المنافقون: 5].

روي أنه لما صدق الله تعالى زيد بن أرقم فيما أخبر به عن ابن أبيّ مقت الناس ابن أبيّ ولامه المؤمنون من قومه، وقال بعضهم له: امض إلى رسول الله-ﷺ- واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى رأسه إنكارًا لهذا الرأي، وقال لهم: لقد أشرتم علي بالإيمان فآمنت، وأشرتم علي بأن أعطي زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد-ﷺ-، وفي حديث أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن جبير أن رسول الله-ﷺ- قال له: (تب، فجعل يلوي رأسه فأنزل الله تعالى: وَإِذا قِيلَ لَهُمْ) إلخ[25].

فالنبي-ﷺ- رغم كلام ابن أبي، طلب منه أن يتوبَ وأن يستغفرَ، وعامله بالتي هي أحسن ولم يقابلْه بالمثل، إلا أنَّ ابن أبي عاند واستكبر ولوى رأسه.

ويقول ابن باز: "أما إذا كان هجر الشخص قد يترتب عليه ما هو من فعله؛ لأنه ذو شأن في الدولة أو ذو شأن في قبيلته، فيترك هجره ويعامل بالتي هي أحسن ويرفق حتى لا يترتب على هجره ما هو شر من منكره وما هو أقبح من عمله والدليل على ذلك : أنه-ﷺ- لم يعامل رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول بمثل ما عامل به الثلاثة وهم : كعب وصاحباه، بل تلطف به ولم يهجره لأنه رئيس قومه ويخشى من سجنه وهجره فتنة للجماعة في المدينة ولهذا كان النبي-ﷺ- يرفق به حتى مات على نفاقه نسأل الله العافية"[26].

فالإسلام يدعو إلى الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن من أجل الوصول إلى الحق، ومن يقف على أحاديث النبي-ﷺ- وسيرته الجامعة في حواراته لا حصر لها، بينه وبين المنافقين، أو الجهلة من البادية يجد ذلك بينًا فيها.

**آثار المنهج النبوي في الحوار مع المنافقين ونتائجه**

ولا شك أن منهج النبي-ﷺ- في الحوار مع المنافقين، ودعوتهم إلى الإخلاص والرفق بهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، واستخدام أسلوب الحزم والشدة معهم له آثار كثيرة ونتائج غزيرة، نذكر بعضًا منها:

**(أ)**- من ذلك أنه-ﷺ- مشى إلى قبر عبد الله بن أبي بن سلول، فوقف يريد الصلاة عليه، كما في الحديث الذي روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، عن عمر بن الخطاب-ﷺ- أنه قال: (لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، دعي له رسول الله-ﷺ- ليصلي عليه، فلما قام رسول الله-ﷺ- وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله-ﷺ- وقال: أخر عني يا عمر، فلما أكثرت عليه، قال: إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها، قال: فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا، حتى نزلت الآيتان من براءة،-وذلك إشارة إلى قوله- تعالى- في المنافقين: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: 80].

ففي الخيار بين أن يستغفر أو لا يستغفر نزعت به طبيعته الرحيمة إلى الاستغفار لأعدائه، قال عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- في نهاية الحديث: فصلى عليه رسول الله-ﷺ- ثم انصرف؛ فلم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[سورة التوبة: 84]، قال: فعجبت بَعْدُ من جرأتي على رسول الله-ﷺ- يومئذٍ، والله ورسوله أعلم"[27].

فهذه مواقفه مع زعيم المنافقين؛ فما ظنك بمن دونه؟ ولا ريب أن لتلك الحوارات والمواقف أثرها البالغ على الموافق والمخالف؛ فالموافق يأخذ العبرة؛ فيصبر على جفاء المسيء، وينتظر حسن العاقبة، والمخالف وهو المنافق مثل ابن أبي ومن على شاكلته يُقْصِر عن التمادي، ويراجع نفسه، وربما رجع عن غيه؛ لأن النار إنما تُذكى بالعودين.

فكان لهذا الموقف عظيم الأثر في نفوس من بقي من المنافقين.

**(ب)**- ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا. وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا. قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا. قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[سورة الأحزاب: 12-17].

فالآية كريمة بينت أن للمنافقين خصالًا اجتماعيةً، وشخصيةً قبيحةً ومذمومةً، فهم بخلاء على المسلمين في الأشياء التي تحقق المصلحة العامة، بخلاء بأنفسهم وأموالهم وأحوالهم، جبناء يهابون لقاء الشجعان ويخافونهم، سليطو اللسان يؤذون غيرهم بالكلام يتفاخرون بما هو كذب وزور، والحقيقة أنهم كفرة، لم يؤمنوا بقلوبهم، وإن كان ظاهرهم الإسلام، لوصف الله عز وجل لهم بالكفر في قوله: أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا وهم كغيرهم من الكفار حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، فلا ثواب لهم إذا لم يقصدوا وجه الله تعالى بها، وإحباط أعمالهم على الله هيّن يسير.

ولجبنهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا، وكانوا قد انصرفوا، وإن يرجع الأحزاب إليهم للقتال، يتمنوا أن يكونوا مع أعراب البادية، حذرا من القتل.

وانتظارا لإحاطة السوء والهلاك بالمسلمين، يتساءلون ويتحدثون: أما هلك محمد وأصحابه! أما غلب أبو سفيان وأحزابه! ولو كانوا في ميدان المعركة ما قاتلوا إلا رياء وسمعة[28].

فهؤلاء المنافقون أظهروا عداوتهم لرسول الله-ﷺ-، وللإسلام، وخرجوا من صمتهم المخادع، وأخذوا ينشرون أكاذيبهم التي أشارت الآيات إلى أهلها، قالوا:

- ما وعدنا الله ورسوله إلا بأمور لم تتحقق بعد أن غرَّرَا بنا.

– طالبوا–لعنهم الله– المؤمنين أن يعودوا إلى المدينة؛ كي ينجوا من الهلاك والقتل.

– بدأوا بالرجوع، وترك ميدان القتال مدعين أن بيوتهم عورة، وهي ليست كذلك.

– تؤكد الآيات ضعف إيمان المنافقين؛ لأنهم سريعين في الارتداد عن الإسلام، وترك ما آمنوا به، بمجرد توقع فتنة؛ والسبب الحقيقي هو أن هؤلاء لا دين لهم.

– لا عهد لهؤلاء المنافقين، فقد دخلوا في الإسلام وعاهدوا الله على الثبات والصبر والتحمل، لكنهم نكصوا ولم يفعلوا شيئًا مما عاهدوا الله عليه.

– يؤكد القرآن الكريم أن المنافقين صنف معاد للإسلام يعيش بين المسلمين، فهم معوقون، حاقدون، يعملون كل ما يضر الإسلام والمسلمين.

– الأمر كله بيد الله تعالى، وحين ينزل بأسه على المنافقين لن ينجيهم منه أحد[29].

فهذه الآيات الكريمة فضحت المنافقين، وبينت درجة جبنهم وسوء أدبهم مع الله تعالى ورسوله–ﷺ–، وذكرت أعذارهم ونقضهم لعهودهم، ووضحت لهم أن فرارهم من الموت لن ينجيهم من الموت، ولن يدفع عنهم قضاء الله تعالى.

**(ج)**– ومن هذه الآيات التي تبين آثار حوار النبي–ﷺ– مع المنافقين ونتيجة الدعوة إلى الله تعالى، قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ. اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ. وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ. سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[سورة المنافقون: 1–6].

يبين الله–ﷻ– لرسوله أثرًا من آثار نفاق المنافقين إذا سمعوا دعوة النبي–ﷺ– لهم إلى الإسلام أو إلى القرآن أنهم إذا جاءوه، يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه، قالوا: نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون؛ لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا.

اتخذوا أيمانهم جنة، وسترة، فصدوا عن سبيل الله، فمنعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمد-ﷺ-، إنهم ساء ما كانوا يعملون، ذلك بأنهم آمنوا باللسان إذا رأوا المؤمنين، ثم كفروا، إذا خلوا إلى المشركين فطبع على قلوبهم، بالكفر، فهم لا يفقهون، الإيمان. وإذا رأيتهم تعجبك فقد كانت لهم أجسامٌ ومناظر، وإن يقولوا تسمع لقولهم، فتحسب أنه صدق، فقد كان عبد الله بن أبي جسيما فصيحا ذلق اللسان فإذا قال سمع النبي-ﷺ- قوله: كأنهم خشب مسندة، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام[30].

فالآيات واضحة الدلالة على سلوك المنافقين السيئ، فلقد كانوا يأتون إلى النبي-ﷺ- ويحدثونه بألسنتهم حديثًا مخالفًا لما في قلوبهم، وينطقون بكلمة الحق مع أنهم لا يقرون بها، فهم كاذبون في إقرارهم، حيث لا ارتباط له بما في قلوبهم، ونراهم يسارعون إلى الأيمان الكاذبة لإبعاد التهمة عنهم، مع أنهم بهذه الأيمان يبالغون في الكذب. ويتصورون أنهم خدعوا بذلك رسول الله-ﷺ- والمؤمنين.

إن هؤلاء المنافقين يبدون في صورة حسنة، وقلوبهم مملوءة بالسوء، لهم كلام منمق، لكنه السم الزعاف، وهم مدركون لفعلهم ولذلك يعيشون خائفين، يتوقعون انكشاف أمرهم في كل لمحة ولفتة[31].

**الخاتمة :**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد قد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج وهي.

1- النفاق مصدر من الفعل نافق، والألف زائدة، و(نفق) النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه، ومتى حصل الكلام فيهما تقاربا .

2- (النفاق) في الشرع هو إظهار الخير، وإسرار الشرّ، وهو أنواع: اعتقاديٌّ، وهو الذي يخلّد صاحبه في النار، وعمليٌّ وهو أكبر من الذنوب.

3- من الأساليب التي استخدمها النبي -ﷺ- في حواره مع المنافقين أسلوب الحزم والشدة، في المواضع التي يتطلب فيها هذا الأسلوب .

4- كان النبي يستعمل الشدة مع المعاندين والمتكبرين، والمستهزئين، والمستخفين بالدعوة؛ فاستعمال الرفق في موضعه حكمة، كما أن استعمال الشدة في مكانها حكمة

5- بين القرآن الكريم أن للمنافقين خصالًا اجتماعيةً، وشخصيةً قبيحةً ومذمومةً، فهم بخلاء على المسلمين في الأشياء التي تحقق المصلحة العامة، بخلاء بأنفسهم وأموالهم وأحوالهم، جبناء يهابون لقاء الشجعان ويخافونهم .

**الهوامش :**

(1) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (5/ 455).

(2)كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت175ه)(5/ 177).

(3) القاموس المحيط، للفيروزآبادى (ص926).

(4) تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزَّبيدي (26/ 432).

(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (1/ 87) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8]؛ جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير (1/ 268-272).

(6) نُورُ الإِيمان وظلمات النِّفَاق في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور. سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص36).

(7)عن أبي هريرة -ﷺ-، أخرجه البخاري: كتاب الأذان- باب فضل العشاء في الجماعة (1/ 132، ح 657).

(8)انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن ملقن(6/ 439).

(9)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري(3/ 209).

(10)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(ص874).

(11)انظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته لمحمد بن يوسف الصالحي(7/ 22).

(12)انظر: صحيح البخاري(8/ 27).

(13)انظر: من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين(ص86)؛ ومن صفات الداعية الرفق واللين: فضل إلهي(ص39-45).

(14)انظر: السيرة النبوية (من البداية والنهاية، لابن كثير)، لابن كثير (4/ 38)؛ و السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش (ص627).

(15)انظر: حياة محمد ﷺ، لمحمد حسين هيكل(ص289).

(16) عن سعيد بن المسيب، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(10/ 405، ح7704)؛ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (ص452، ح3072).

(17)انظر: الكوكب الدري على جامع الترمذي، لرشيد أحمد الكنكوهي(3/ 381).

(18)انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي(4/ 389)؛ وتفسير السعدي(ص667).

(19)انظر: تفسير البغوي(2/ 31).

(20)انظر: شرح الشفا، لأبي الحسن نور الدين الهروي(2/ 414-415).

(21)انظر: مفاتيح الغيب للرازي(15/ 224).

(22)انظر: تفسير الكشاف، للزمخشري(2/ 341).

(23)مفاتيح الغيب للفخر، للرازي(15/ 224).

(24)أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة دراسة تحليلية، لحسن عبد الله طه الخطيب (ص192).

(25)انظر:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(14/ 308).

(26)مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله(235/4).

(27) عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين، والاستغفار للمشركين (2/ 97، ح 1366).

(28)انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي(21/ 285).

(29)انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني(ص451).

(30)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري(23/ 390)؛ تفسير البغوي، للبغوي (5/ 99)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي(14/ 400).

(31)انظر:السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني(ص640).

( ) Dictionary of Standards of Language, by Ibn Faris (5/455.(
( )Kitab Al-Ain, by Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim Al-Farahidi Al-Basri (d. 175 AH) (5/177.(
( )Al-Qamoos Al-Muhit, by Al-Fayrouzabadi (p. 926.(
( )Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamus, by Mortada Al-Zubaidi (26/432.(
( )Interpretation of the Great Qur'an, by Ibn Kathir (1/87) when interpreting the Almighty's saying: "And among the people are those who say, "We believe in God and in the Last Day," but they are not believers" [Al-Baqarah: 8]; Jami' al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an, by Ibn Jarir (1/268-272.(
( )The Light of Faith and the Darkness of Hypocrisy in the Light of the Qur'an and Sunnah, by Dr. Saeed bin Ali bin Wahf Al-Qahtani (p. 36.(
( )On the authority of Abu Hurairah -"-, Narrated by Al-Bukhari: The Book of Adhan - Chapter on the Virtue of Isha' in Congregation (1/132, h. 657.(
)See: Al-Taridh li Sharh Al-Jami' Al-Sahih, by Ibn Mulqin (6/439.(
( )Al-Kashshaf fi Haqiqat Mysteries of Revelation, by Al-Zamakhshari (3/209.(
)See: Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan (p. 874.(
( )See: Paths of guidance and guidance, in the biography of the best of servants and a mention of his virtues and the signs of his prophecy by Muhammad bin Yusuf Al-Salihi (7/22.(
)See: Sahih Al-Bukhari (8/27.(
)See: One of the characteristics of a preacher is being considerate of the circumstances of those he is addressing (p. 86); Among the characteristics of the preacher is gentleness and gentleness: divine favor (pp. 39-45.(
)See: The Biography of the Prophet (From the Beginning and the End, by Ibn Kathir), by Ibn Kathir (4/38); And the Prophet's biography and advocacy in the civil era, by Ahmad Ahmad Ghalush (p. 627.(
)See: The Life of Muhammad, peace and blessings be upon him, by Muhammad Hussein Heikal (p. 289.(
( )On the authority of Saeed bin Al-Musayyab, narrated by Al-Bayhaqi in Shu'ab Al-Iman (10/405, h. 7704); It was classed as weak by Al-Albani in Da'eef Al-Jami', (p. 452, no. 3072.(
)See: Al-Kawkab al-Durri on Jami' al-Tirmidhi, by Rashid Ahmad al-Kankuhi (3/381.(
)See: Al-Muharrat Al-Wajez fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz, by Abu Muhammad Abd Al-Haqq Ibn Atiya Al-Andalusi (4/389); And Al-Saadi's interpretation (p. 667.(
)See: Tafsir Al-Baghawi (2/31.(
)See: Sharh Al-Shifa, by Abu Al-Hasan Nour Al-Din Al-Harawi (2/414-415.(
)See: Mafatih al-Ghayb by Al-Razi (15/224.(
)See: Tafsir al-Kashshaf, by Al-Zamakhshari (2/341.(
( )Mafatih al-Ghayb fi al-Fakhr, by Al-Razi (15/224.(

( )The goals and purposes of the topics of Surat Al-Tawbah, an analytical study, by Hassan Abdullah Taha Al-Khatib (p. 192.(

( )See: The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis: Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi (14/308.(

( )Collection of Fatwas by the scholar Abdul Aziz bin Baz, may God have mercy on him (4/235.(

( )On the authority of Omar Ibn Al-Khattab - -, included by Al-Bukhari: Book of Funerals, Chapter on What is Disliked in Praying for Hypocrites and Asking Forgiveness for the Polytheists (2/97, h. 1366.(

)See: Al-Tafsir Al-Munir fi Al-Aqeedah, Sharia and Manhaj, by Al-Zuhayli (21/285.(

)See: The Prophet's biography and the call in the civil era (p. 451.(

)See: Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, by Ibn Jarir al-Tabari (23/390); Tafsir al-Baghawi, by al-Baghawi (5/99), and the Interpretation of the Holy Qur'an, by Muhammad Sayyid Tantawi (14/400.(

)See: The Prophet's biography and the call in the civil era (p. 640.(